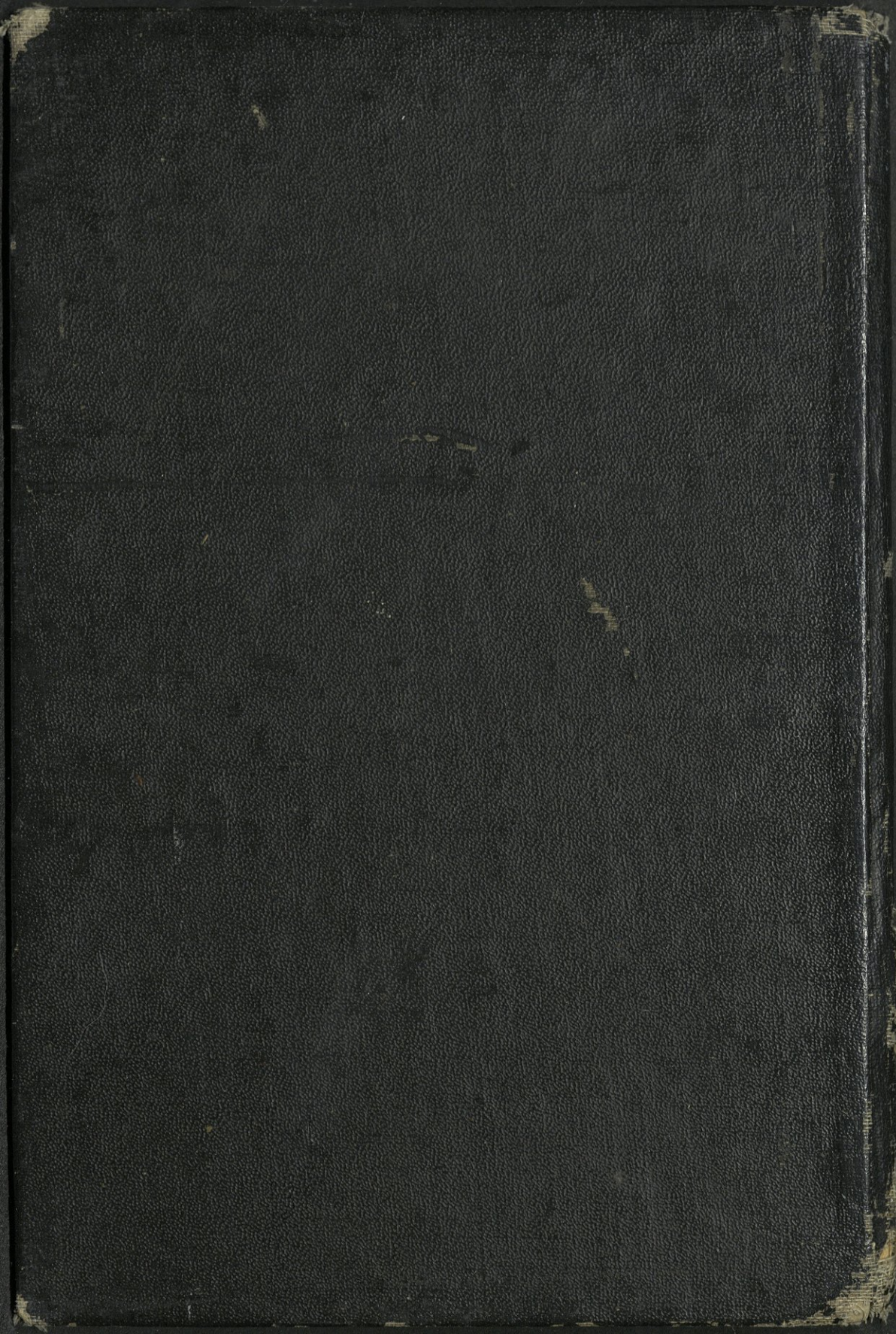
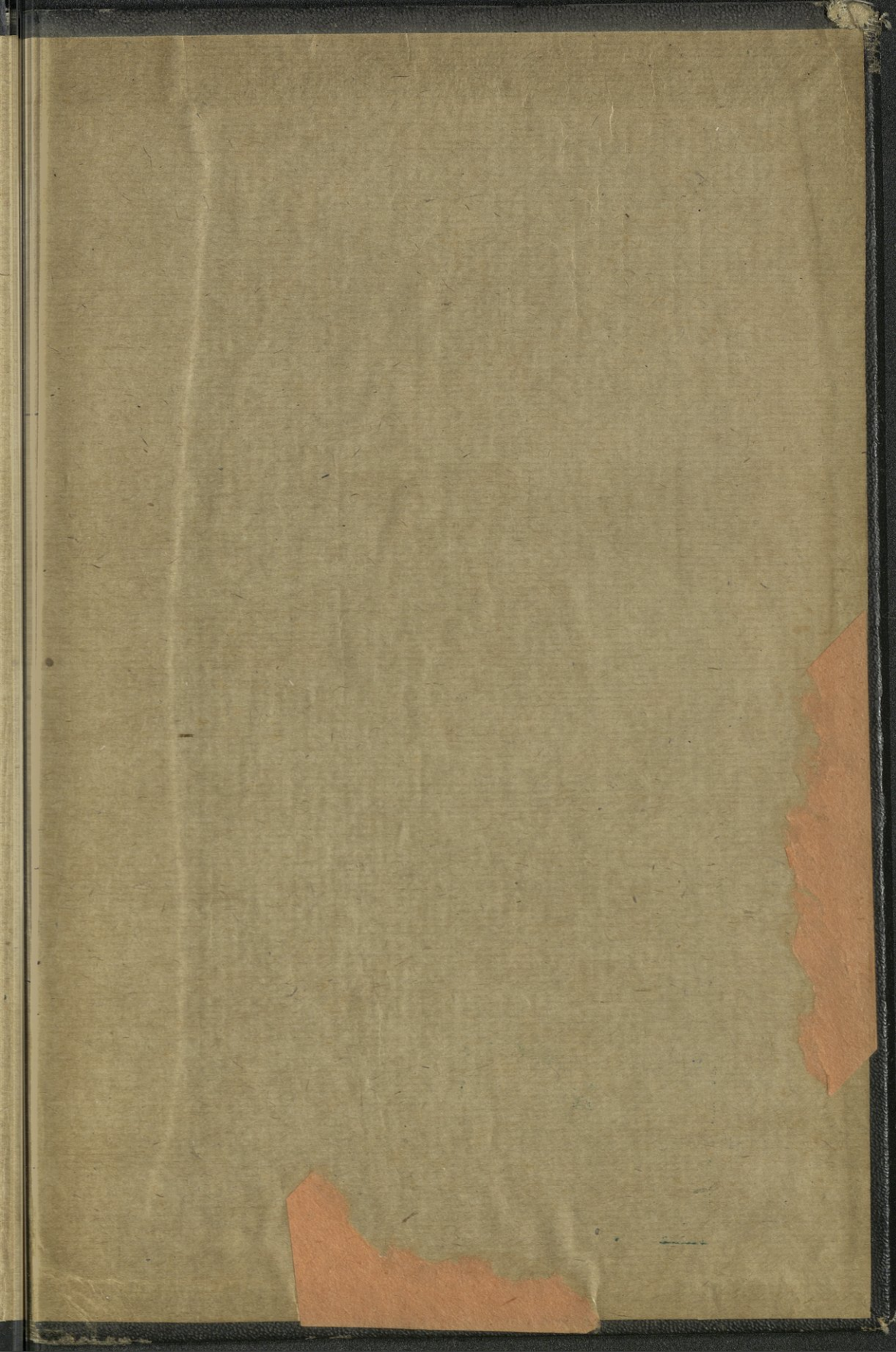






8

301.15
D12 dA

APR 30 '58

MAY 10 '58

AG 19 '58

JUN 30 '58

MAY 10 '59

MAY 10 '59

MAY 10 '59

JUN 7 '60

MAY 10 '60

MAY 24 '61

JAFET LIB;
1 FEB 1990

NOV 1 '61

Oct Jan. 1948

30115
D12dA
C.1

يوسف اسعد داغر
أمين دار الكتب اللبنانية

الى مكتبة جامعة بيروت
مع طيب التحيات
برشلونة ١٩٤٧/٨/٢٨

الدعابة والنشر

او

البر وبغندا

نشرت تبعاً في مجلة المسرة سنة ١٩٤٧

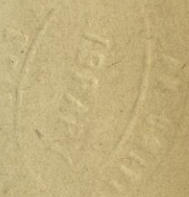


67574

حريصا ١٩٤٧

مطبعة القديس بولس

Cat. Jan. 1948



الدعاوة والنشر او البروبغندا

نظرة عامة

الدعاوة على ضوء علم النفس وعلم الاجتماع الحديث

ينظر بعض الاقوام الى هذه الالفاظ، كما ينظر اليها بعض الافراد، نظرة ريبة وتحفظ، اذ يرون فيها محاولة قسرية للضغط والتحكم بالرأي الشخصي والنظر الى الامور . ومع ذلك فقد رأى قادة الشعوب الحديثة في الدعاوة هوسيلة هامة من وسائل التأثير والاقتناع، حتى ان بعض الحكومات اقدمت على انشاء وزارة خاصة في عداد الوزارات التي تتألف منها الحكومة، فقام غوبلز في المانيا مثلاً يحمل لقب « وزير الدعاوة »

ففي هذا الدور الذي بلغه التطور الاجتماعي والنظر الى الكائنات على ضوء علمي النفس والاجتماع الحديثين، نرى عدداً كبيراً من المفكرين والنقاد يقدرون اكثر فاكثر العوامل والمؤثرات التي تطبع الذهن وتؤثر على العقل والفكر وبالتالي على التصرف والسلوك

فالدعاوة، في جوهرها، محاولة يقوم بها شخص ما للتأثير على شخص آخر، وبعبارة اخرى صراع بين مثل مختلفة في عالم تتقاذفه الاطباع، او نزاع بين فلسفتين او اكثر متباينتين في العقلية والذهنية والنظر الى القيم البشرية . فكل بلد او شعب لا تضبط مصالحها خطة موضوعة بمنتهى الدقة والتنظيم يتفرق اهلها ايدي سبا، ويتوزعون مللاً ومذاهب تناهض بعضها بعضاً ليس فقط في الامور العرضية او الطارئة بل ايضاً في الامور الجوهرية او الاساسية

كل الشعوب التي تطمح الى الحياة الحرة يجب ان تناهض اي عدو حقيقي

او وهمي من شأنه ان يهدد سلامتها . ولما كان اكثر الناس تفاؤلاً في هذا العصر يعتقدون انه لا بدّ من قيام الخصومات والمنافسات في العالم فهم ينظرون الى الدعاوة ووسائلها كامر لا مفر منه بل يجب الاخذ به والنهوض باساليه

يجب ان يسبق كل مجهود مشترك تحديد الاهداف والغايات العليا التي يترسمها ، كما يجب تعيين الوسائل الموصلة الى هذه الاهداف . فالدعاوة اذن امر محتوم لانها احدى هذه الوسائل المشروعة في نظامنا الاجتماعي الحالي ولا يمكن صرف النظر عنها لانها تقوم اساساً على التنبيه والتحذير والايقاظ . فهي قبل كل شيء تتجه الى العقل عن طريق الاقناع ، والى الارادة عن طريق القلب والعاطفة . فالدعاوة اذن عمل اجتماعي قبل كل شيء .

ومن الاسس التي تقوم عليها الدعاوة اليوم علم النفس الحديث . فالدعاوة هي ايضاً عمل نفسي . فهي تقوم ، في جوهرها ، على محاولة التأثير من شخص معين على شخص او اشخاص معينين . وهذا الانفعال المطلوب لا يتم الا بعد انطباعات نفسانية في الشخص المطبوع سلبياً

ولما كانت الدعاوة ظاهرة اجتماعية ترتكز اساساً على علم النفس الحديث ، كان لا بدّ من اللجوء الى علم الاجتماع وعلم النفس كليهما لتحليل مضامينها وتفرعاتها ، والا عجز كل من هذين العلمين على حدة عن تفهم حقيقة هذه الظاهرة . وقد شبه واغتر علم الاجتماع ، في جوهر الدعاوة ، بالبندقية او المدفع ، كما شبه علم النفس بالطلق او باليعار . فاستجاء البندقية والرصاصة ووجودها معاً في حالة التهيؤ امر لا بد منه لليعار الناري . ولذا وجب ان يكون تكافؤ بين البندقية وذخيرتها او بين المدفع والقنبلة . وهكذا نرى ان حقيقة الدعاوة ومدلولها يحتاجان وجود امور مشتركة ترتكز على الاتساق والتوافق بعضها مع بعض . وكل الوسائل التي تتذرع بها الدعاوة يجب ان تكون حقيقة مدلولها مطابقة لمبادئ علم الاجتماع الاساسية ، كما يجب ان تخضع فعاليتها لنواميس علم النفس . ولهذا نرى ان علم النفس الاجتماعي ، في مادة الدعاوة يتجه ، في آن واحد ، شطرين مختلفين : احدهما لعضوي او اجتماعي ، والآخر عضوي او

نفساني . ففي الاول تعتمد الدعاوة على مراعاة اخلاق وعادات وعرف شعب ما مراعية حالته الاجتماعية . اما في الثاني فالدعاوة تركز على تهيهو الشعب النفساني باعتبار ذهنيته وعقليته . والواقع الذي لا يدحض ان كلا العنصرين متلازمان لا يفترقان . فالافراد ، من حيث تركيبهم النفساني ، هم نتيجة محتومة لامتزاج العنصر اللاعضوي بالعنصر العضوي على نسبة من الاتساق والتوافق . فهم مجموعة محتومة من العادات والاخلاق تتفق وحالات اجتماعية ، هي دوماً آخذة في التكيّف والتطور . فعلم النفس الاجتماعي هو اذاً « ألفة » من علم الاجتماع وعلم النفس ، لان الظواهر الاجتماعية هي مركب من القوى الاجتماعية ومن التفاعلات النفسانية

وعلى هذه القاعدة ، اعلم ان علم النفس الاجتماعي يتطلب بداهة هذه الحقيقة الاولى وهو انه لا علاقة له بآية « حقيقة مطلقة » بل انه يقوم على درس وتحجيس حوادث خاصة ووقائع خاصة ، لها « حقيقة نسبية » محيزة في اناس تلابسهم وضعية خاصة

مادة الدعاوة

هنالك دلائل عدة مستمدة من ماجريات الحرب العالمية الاولى والثانية ، تشير بوضوح الى ما للدعاوة من الشأن والاثّر ، على الشعوب والامم . واكبر شاهد على عناية الدول بهذا السلاح القوي ، ذلك الفيض الغزير من الكتب والمؤلفات والرسائل والمقالات في الغرب ، التي تعالج هذا الموضوع وتبحث في اصوله وفعاليته . فالدعاوة سلاح قوي ، شديد الاثر على الشعوب في تعديل افكارها وعقليتها وآرائها ونظرها الى الامور ، كما لها الاثر البين في تنويع الصور والمرئيات المرتسمة على لوحات الذهن او الانطباعات المستقرة في اعماق النفس . فالحياة القريرة ، في الامم ، لا تقوم على عاصفة هرجاء ، لا تبقي ولا تذر . فهي ليست في اندفاع الجماهير وتطوحها ، بل في حكمة واتزان اقلية عاقلة

ان ما للرأي العام من شأن خطير في الامور السياسية الدولية واتجاهها خليق بالدرس والفحص والتحري القوي ، وهو دور آخذ بالازدياد والنمو . يشهد العالم

اليوم نشوء قوة جديدة، هي قوة الرأي العام . وقد نشأت هذه القوة بفضل علم جديد وسلاح جديد هو سلاح الدعاوة . فالمصالح تعدت تحوم الدول وحدودها، فصار من الغرور والادعاء الفارغ ان تحاول الحد من رغبة المواطنين والحكومات في وقوفهم على ما يجري عند الجيران من الاحداث، مما يهتزون له لعلاقته القريبة او البعيدة بهم

اما اساليب الدعاوة هذه فقد تعددت وتنوعت الى حد كبير، واتجه كل واحد منها الى ناحية خاصة يتعهد بها بالعبادة والاهتمام . فمنها ما هو موجه نحو الاغراض القومية او الدينية، ومنها ما يتجه الى العنصرية او القضايا المالية او الاقتصادية الخ . ولهذا كانت الدعاوة والرأي العام، من الامور التي تشتد اليها الحاجة في زمن الحرب . ان امة تحافظ على مستوى عال من متانة الخلق والمعنويات تستطيع الصمود والاتيان بالمعجزات والحوارق والاضطلاح بالاعباء والتبعات العظام وهذا المستوى العالي من متانة المعنويات يتميز بخصائص فارقة متفق عليها لدى الجميع : كالحماسة والعزم والثقة بالنفس والشعور بالقومية والمجاهدة وحب النقد الصريح وعدم التذمر والمرح في الشدة

تحديد وتعريف : فالدعاوة هي احدى الوسائل الهامة لحفظ معنويات الامة واليها تتجه رغائب الامة يوم تتأزم الامور . فالغاية منها محدودة إلا انها مهمة للغاية . فلا يقصد منها مراقبة الحالات النفسية بتغيير ظروف بعض هذه الحالات . فهي ترغب فقط بمراقبة الرأي العام في الامة او في العالم والتحكم به بوسائل لها شأنها، معتمدة على سرد القصص والاحبار والتقارير والصور الوصفية وغير ذلك من الذرائع المختلفة . فهي تعنى باعداد الرأي وتطوره اعتماداً منها على الالهام الاجتماعي، اكثر مما تعتمد على قلب هذه الحالات والظروف التي ترسمها او تبعثها

فالدعاوة هي احدى الوسائل الثلاث الرئيسية للتأثير على العدو والنيل من معنوياته :

١ الضغط العسكري او الحربي باستعمال قوى البر والبحر والجو مجتمعة

٢ الضغط الاقتصادي : يمنع وصول الامدادات والمواد الاولية والاتصال بالاسواق ورؤوس الاموال

٣ الدعاوة : وقوتها تقوم في الايمان النفساني

في السلم تعتمد الدول المفاوضات والمداولات والمشاورات فتتصل بعضها ببعض بالمؤتمرات حيث تبادل وجهات النظر . وتؤثر الحكومات على شعوبها بالتشريع وسن القوانين وتنظيم الشرطة والاعتماد على وسائل الرغبة او الرهبة المختلفة

اما في زمن الحرب فالحكومات والامم تعتمد الدعاوة وترتكز على وسائلها، فتشير كوامن الحقد والبغضاء والمجدة الكامنة في قلب الامة ضد العدو المشترك، ثم تنصرف من جهة ثانية الى تنمية علاقاتها الطيبة بالدول المحايدة او الحليفة . وقد بلغت الدعاوة، في الحربين العالميتين الاخيرتين، درجة عالية من الشدة والتوتر، كيف لا والامل في كسب الحرب معقود كله على وحدة الصفوف ومثانة المعنويات في الجبهة الداخلية، والمحافظة على وحدة الامة . وليس من امل بالمحافظة على وحدة الامة ان لم تراقب الحكومة ضمير الامة كما تراقب روحها ووعيتها الدفين . فالمدنيون عليهم ان يلتفوا كالبناء المرصوص، تغذية حاجة الحرب وتأميناً للصناعات الحربية

ومن مميزات وحدة الامة في الحرب جمع الجنود عصابة واحدة تخضع لنظام واحد موحد . اما المدنيون فلا يجمع بينهم نظام عسكري او نظام حشد العضلات، بل ان ما يجمع بينهم هو جامعة الفكر ووحدة الروح والتفكير اكثر مما تجمع وحدة الحركة . فعقل المدنيين ينتظم بما يوحى به اليهم من الاخبار ليس بما يوحى به اليهم من التمارين والحركات ، وهذا كل ما ترمي اليه الدعاوة وكل ما تستهدفه وتحب ان تواجهه . خشو الدماغ بقوال معينة محيزة من الافكار والصور، يقصد منه، في الغالب، القضاء على كل مترع يحول دون الاشتراك في الحرب الاجتماعية، كيف لا وقد اعتاد الانسان النظر الى السلم - وليس الى الحرب - كحالة المجتمع الطبيعية، ولاسيا وهنالك افراد كثيرون، في جسم الامة الواحدة، ينددون بالحرب وبويلاتها، ليس لكونها شرّاً فحسب،

بل لكونها مؤامرة يدبرها بعض اعداء المجتمع . فالدعابة اذاً هي حرب
 الافكار مشهورة على بعض الافكار الرجعية وعلى بعض حالات الذهن
 ان هذه النظرة الخاطفة هي تحليل اولي لقضايا الدعابة ومشاكلها في علاقاتها
 بعوامل الدفع والجذب، بين الامم، في اثناء الحرب . وكلها يهدف الى اثارة
 الحقد على العدو وتثييط هممه

سلوك الانسان الاجتماعي اساس الدعابة

ان الناس - موضوع عناية الداعية وغايته القصوى - هم اولئك الذين بلغوا
 سن الرشد، فيخضعون في تصرفاتهم لعدد من المؤثرات المختلفة . وهؤلاء الاشخاص
 ينظر اليهم الداعية بوصفهم متمتعين بالنشاط والحركة والعاطفة، من حب وبغض
 وطمع ووطنية . فعلم النفس، في محاولته تفهم هؤلاء الاشخاص، لا يمكن ان
 يتجاهل ما لهم من خصائص محركة وقوى دافعة . فهو ينظر اليهم نظرة وحدات
 مركبة قابلة للتأثر والانفعال، متشابهة في كثير من وجوهها . فعلم النفس يجب
 ان يكون علمياً بعيداً عن النظريات

كذلك ان علم النفس الذي يعنى بدراس الكائنات البشرية لا يمكن ان
 يتجاهل ما للانسان من مقام في المملكة الحيوانية، فهو اكثر قابلية من سواه
 من ابناء هذه المملكة لتكييف نفسه حسب مقتضيات بيئته . وهذه الخاصة
 تقوم اساساً في كونه قابلاً للاقتباس والتعلم من اشباهه الى درجة لا يجاريه فيها
 احد . وهذه الخاصة الكامنة في الانسان والتي تمكنه من الاقتباس والتعلم
 هي نفسها تمكنه من ايصال اختبارات وتراثه الكسبي من جيل الى جيل .
 وبالايجاز ان الناس ليسوا فقط الخلف الطبيعي بل ايضاً الخلف الاجتماعي لسلف
 طبيعي واجتماعي معاً . وهذا التراث يقوم، قبل كل شيء، في قوة النطق والافصح
 بالكلام او بالخط عن الافكار وما ذلك كله الا نتيجة محتومة للتطور الدماغي
 وتطور القوى العاقلة

ان نشاط الانسان يرتكز، في جوهره، على رغائبه المكنونة في قرارة نفسه،

وهذه الرغائب، هي التي تدعوه الى التصرف والسلوك . وبعبارة اخرى، يمكننا ان نتساءل لماذا يعمل الناس ما هم آخذون به من عمل ؟

✓ ان رغبة الانسان في الحياة امر لا يمكن نكرانه، الا في بعض حالات شاذة، لا قياس عليها . الا ان الوسائل التي يركن اليها او يعتمد عليها للوصول الى هذه الغاية، تختلف وتتنوع الى درجة انها تحتاج الى دراسة خاصة . وقد يسهو الانسان، محوّلًا بتيار الاعمال، عن الهدف الاخير الذي ينشده فيفقد الشعور بالعلاقة القائمة بين ما يعمل وبين رغبته في الحياة . وبعبارة اخرى تكون تصرفاته مستيرة، وهذا امر يجب الا يغرب عن البال قط

وضع علماء النفس والاجتماع بعد دراسة عميقة كشفًا دقيقًا بمطالب الانسان الغريزية او بحاجاته الدفينة التي تكون الدافع الاساسي الدائم للنشاط الانساني . وهذه الغرائز والحاجات الاساسية لا تتحرك او تأخذ بالتأثر وهي في محيط اجوف فارغ، فيما انها تثور وتتأثر بصورة مستمرة بحسب الظروف الفردية والملابسة او المجاورة . فالظروف الاجتماعية المحدقة بجماعة ما من الافراد او الملابس لهم هي الحافز الاول لتوجيه مطالب هذه الغرائز وتحقيق هذه الحاجات الدفينة

الشخصية والهيئة الاجتماعية : نظرنا الى الافراد يتحركون مدفوعين الى حركتهم بما هم عليه من حالات نفسية، هذه الحالات التي تتشابك وتتداخل بكيفية يصعب معها استبانة الحدود والاطراف المتصلة . وهذه الحالات هي موضوع عناية الداعية وهدفه من وسائل الاغراء والتأثير التي يعتمد عليها . وعلى قيام هذه الحالات النفسية ونظامها ودرجة قابليتها للتأثر تقوم، قبل كل شيء، الشخصية وما اليها من قضايا معقدة . وهذه المواقف السيكلولوجية تختلف اهمية بعضها عن بعض في شخص واحد، كما تختلف درجاتها معدّلًا، بين جماعة واخرى، فالبارز منها يدعى الموقف الدائري او المركزي . وهذا الموقف المركزي هو نقطة الدائرة او المحرك الاكبر او الموجه الرئيسي لتصرفات الانسان، كما انه القطب المسير للحالات السيكلولوجية الاخرى . وقد يكون منها في الانسان الواحد عدة حالات مركزية تختلف بعضها عن البعض الآخر باختلاف اتجاهها

النوعي، اذ منها ما يتجه شطر الدين وغيرها نحو الاجتماع، واخرى صوب الاقتصاد او المال او المالا هي والملاذات، فتتشابك بعضها مع بعض وتتداخل بصورة غريبة غامضة . وقد يتفرع عن هذه الحالات المركزية او الدائرية حالات فرعية او جزئية ينم كل منها عن اتجاه خاص في الانسان . وهذه الحالات سواء اكانت مركزية رئيسية ام فرعية جزئية تؤلف ما يصح تسميته بـ « المدى العقلي او المدى الحيوي »، الذي يرمز بصورة واضحة دقيقة الى الحقيقة السيكولوجية للوعي الانساني المعروف بالسلوك او التصرف . وهذا المدى يشتمل على العقل الواعي وعلى العقل اللاواعي، ولكل منهما اثره الظاهر في الانسان، في حمله على الخروج من سلبيته او من جموده البدائي، تبعاً للعثرات التي تجتذبه او تؤثر فيه وهكذا تبدولنا الشخصية الانسانية في حالاتها المختلفة الموصوفة كما يلي :

اولاً : بالنظر الى طور من اطوار الحياة : تكون الشخصية البشرية اذ ذاك خاضعة للعوامل التالية :

١ اما الى حالات سيكولوجية عامة : General attitudes : وهي التي تتحكم بسلوك الانسان والتصرف الانساني وتسيره في كثير من ظروفه الخاصة

٢ واما الى حالات نوعية خاصة : Specific attitudes : وهي التي تسيطر على السلوك الانساني في حالة نوعية خاصة

٣ واما الى حالات مركزية او دائرية : Central attitudes : وهي التي توجه الانسان في معظم حالات سلوكه الفردي

٤ واما الى حالات جزئية او فرعية : Segment attitudes : وهي التي توجه فقط جزءاً من السلوك الشخصي في الانسان الفرد

ثانياً : بالنظر الى ظرف خاص من ظروف حياة الفرد : تكون شخصية الفرد اذ ذاك خاضعة للعوامل التالية :

١ حالة دافعة : Dominant attitudes : وهي التي تضغط بشدة على المدى العقلي

٢ حالة كامنة : Latent attitudes : وهي التي تكمن في الضمير دون ان تضغط على المدى العقلي

٣ حالة عارضة Related attitudes : وهي حالة ناشئة عن تشابك مواقف

مختلفة ضمن المدى العقلي

٤ حالة مساعدة Auxiliary attitudes : تؤثر بالواسطة على المدى العقلي

القيم الاجتماعية : عني علماء النفس كثيراً كما عني علماء الاجتماع أيضاً بدراسة هذه الناحية السيكولوجية من الانسان واهتموا بقياس قوتها وحيويتها وفائدتها في الافراد . وقد دل الاختبار ان هذه الحالات النفسانية تتأثر وتتكيف تحت تأثير بعض الخطط القوية التنظيم ، وهي ، وان كانت تختلف قوة ودرجة ونوعاً وخصائص بين اميركي وآخر ، مثلاً ، تختلف كذلك قوة ودرجة ونوعاً وخصائص بين شعب وآخر . وهكذا نرى قيام حالات سيكولوجية عامة متشابهة عند بعض الجماعات او لدى بعض الشعوب . [وهذه المشابهات المشتركة هي نتيجة مباشرة محتملة للمؤثرات الاجتماعية والعوامل المختلفة التي تعمل على صوغ الانسان وصياغته وسكبه في قوالب خاصة مميزة له عن غيره من الاقوام بين الافراد ، او تطبع الجماعات بطابع فارق يمتاز عن غيره من طابع الجماعات الاخرى . ولذا كانت الدعاوة التي توجهها مراكز خاصة مختلفة في جماعة خاصة ، هي العامل الاكبر لايجاد حالات فكرية متماثلة في مجموع من الافراد

وهذه القوى المؤثرة او الحركة التي نراها في الاشياء او في الاشخاص هي ما يدعوه العلماء الاجتماعيون بـ « القيمة » او قوة الجذب . ومفعول هذه القوة او درجة فعاليتها كموثر ، هي على نسبة تهيؤ المرء النفساني او السيكولوجي وعلى درجة قابليته للانطباع بهذا المؤثر

فالقيم الاجتماعية هي اذن تلك المؤثرات او العوامل المختلفة وقابليتها الفعالية للتأثير على اي عضو من اعضاء مجتمع ما . اما الحالة السيكولوجية فانها تدل على وعي فردي قين بان يثير في الفرد نشاطاً حقيقياً او ممكناً وايصال هذا النشاط الى المحيط الاجتماعي . فالحالة النفسانية او السيكولوجية ، من جهة ، والقيم الاجتماعية من جهة ثانية ، هما شيان متعاقدان متمسكان يدعوا احدهما الاخر . فهما قطبا جذب سلبي وايجابي ، والرابط بينهما النشاط الحركي

فالأشياء والأشخاص المثيرة لحالات نفسانية متجانسة في بعض الجماعات أو الجماهير تكون القيم الاجتماعية لهذه الشعوب . فكل شيء أو شخص يسبب أو يثير حالة نفسانية يكون ، في ذاته ، قيمة اجتماعية ، وذلك فقط في الحين أو في الوقت الذي يثير فيه هذه الحالة الخاصة

وهذه القيم الاجتماعية تقسم الى قسمين وذلك بنسبة الحالة التي تثيرها في مكن النفس . فبعض هذه القيم والحالات التي تثيرها تسبب ، في الافراد مجذباً نحو الأشياء والأشخاص فيما ان غيرها من هذه القيم والحالات التي تثيرها تولد فيهم حركة دفع . فهذه القيم هي اذن ايجابية وسلبية ، وهذه الصفة المكتسبة ، ايجابية كانت ام سلبية ، قد تنعكس في بعض الحالات وترتدي مظهر الضد ، فتصبح سلبية بعد ان كانت ايجابية ، والعكس بالعكس

الايحاء والدعاوة : رأينا على ضوء مبادئ علم النفس الاجتماعي ماهية تركيب السلوك البشري وتنظيمه ومسبباته وبواعثه وعلاقاته الوثيقة بالبيئة الاجتماعية . كذلك لاحظنا كيف ان الشخصية قوامها الحالات السيكولوجية النفسية ، وهذه الحالات تتركز في اثارها ، على القيم الاجتماعية الكامنة في البيئة او المجتمع . وهكذا بدت لنا الدعاوة قوة لها خصائص وقابليات للتأثير على الجماعات البشرية . ولهذا كان لا بد لنا من ان نستعرض ، بإيجاز ، على ضوء علم النفس الحديث ، طريقة التحكم بالافراد وتغيير شخصيتهم ، وبالتالي ، التحكم بالجماعة والجماهير في آن واحد ، اذ المجموع هو افراد مجتمعون . وهذه الطريقة هي ما ندعوه بـ « الايحاء »

الايحاء : فالايحاء ، شأنه شأن كل الحالات السيكولوجية والقيم الاجتماعية التي اتينا على وصفها ، هو احد اركان السلوك البشري . فكل نظرة تحليلية للايحاء وتأثيره السيكولوجي ، تقوم على هذا المبدأ البديهي ، وهو ان كل فرد ينفع بالايحاء ، يشعر ، في حال انفعاله ، بموثر واحد او بعدة مؤثرات . فهذا المؤثر او المؤثرات يكون الطرف الثاني او المادة التي تسبب الايحاء . ففي الدعاوة او في ما لديها من الظواهر الاجتماعية الاخرى المماثلة ، ان العوامل التي تؤثر في

الجماعات والشعوب، هي على الاجمال، من الكثرة العددية، بحيث يكون من العدل تسميتها بالظرف الفاعل او الظرف المحرك Situation Stimulus

فلاشخص والاشياء تلبث كما هي، اشياء واشخاصاً مجردة، حيادية، بالنسبة اليك، الى ان تؤثر عليك بصورة ما . واذ ذاك تصبح هذه الموضوعات، بالنسبة اليك، «ظرفاً فاعلاً» او «ظرفاً محركاً»؛ وفي لغة علم النفس ان هذا التعبير يعني ان الظرف المحرك يولد فيك هزة او انعكاساً، لسبب ما، قد يكمن في طبيعة هذا المحرك او في حالة تهيؤك النفسي

وهذه الحالات قد تتغير دون ان يسبب تغيرها اي تعديل مباشر في سلوك المرء نفسه . كذلك، ليس من الحكمة في شيء، عند الكلام عن الايجاء، القول بان الحالات النفسية تخضع مباشرة للمراقبة والتحكم . قد تتغير هذه الحالات السيكلوجية فيك عندما يتقدم احد الاشخاص منك بنصيحة . ولكن رد الفعل هذا قد يأتي مخالفاً او مغايراً لما كان من المتوقع حدوثه . وهذا النوع من المتصرفين على هذا النمط، يدعى بلغة علم النفس «السليبين»

ويزعم بعض الكتّاب ان الايجاء يدعو الحالات النفسانية مباشرة الى العمل، كما يزعم غيرهم ان هذه الحالات تنشأ من تأثير الايجاء مباشرة . وهكذا نرى ان طريقة نشوء هذه الحالات وتكوّنها عن طريق الايجاء، يستدعي، الى حد وقدر ما، تكييفات نفسانية في المدى العقلي

وعلى ضوء هذا التحليل، نرى بوضوح وجلاء ان الايجاء ينتج حتماً من تفاعل المؤثر الخارجي وانطباعه، على شكل تتنبه معه الحالة النفسانية القائمة اساساً على المدى العقلي، فتحمل المرء على الحركة او النشاط وعلى الخروج به من حالة الجمود او التردد، الى حيز العمل، وهي حالة لم تكن المؤثرات الخارجية الاخرى لتثيرها . وهذه النظرية التي يقول بها العلم الحديث تفرض حتماً قيام تهيؤ سابق في قرارة النفس يقع ضمن المدى العقلي وضمن استعداد المرء للتأثر، كما انها تلحج الى تأثير الفاعل بالمفعول وتشير الى الانعكاسات الظاهرة في وضعية المدى العقلي، عندما يستعمل الواحي المؤثر الخارجي

والقول بفعالية الايحاء . على هذا النمط نظرية علمية يقول بها معظم علماء النفس الحديث . فانعكاس المؤثر الخارجي على الفرد او الجماعة ينتج فيهم حالات نفسية جديدة ، فالايحاءات تستدعي حتماً الاشارة الى الدور الهام الذي تمثله الحالات السيكلولوجية المفروض وجودها ، قبل الانفعال ، بالمؤثر الخارجي ، وهي التي تسبب التحول من السلبية الى الايجابية . وهذا المؤثر الذي ينعكس عمله فيك ، قد يبقى بدون اي تأثير على غيرك ، لعدم قابلية هذا الغير وتهيؤة لاقبالت الانعكاس . وهذا الايحاء يتبلور او يتجسم في نظر الموحى اليه صوراً او اعمالاً صورية ، طرفها الاول المؤثر الخارجي وطرفها الاخير الحالة النفسية المفروض قيامها الايحاء وانواعه المختلفة : يدعونا تحليل الدعاوة والنظر اليها من خلال علم النفس ، الى تمييز الاختلاف القائم بين الايحاء المباشر والايحاء غير المباشر من جهة اولى ، وبين الايحاء السلبي والايحاء الايجابي ، من جهة ثانية

ففي الايحاء المباشر يرى المرء الهدف المباشر الذي يهدف اليه الموحى ، جزءاً من المؤثر الخارجي ، فتنشأ فيه حالات نفسية عارضة . ويكون الايحاء عملية ناجحة اذا اثار ، في المدى العقلي الخاص بالموحى اليه ، شعوراً بهذا الهدف وعلاقته بالحالات النفسية العارضة ، قد ينتج عن ذلك ، ولا ينتج ، اي عمل يستهدف الحصول على الغرض الذي يرغب فيه الموحى

اما في الايحاء غير المباشر فالمرء عاجز عن رؤية الغرض المباشر الذي يهدف اليه الموحى ، كجزء من المؤثر الخارجي . ومن هذه الحالة ينشأ ، في المدى العقلي ، حالات نفسية مساعدة او عارضة ، هي كل ما يطمع فيه الموحى . وقد ميز العالم بورس سيدي المشهور بابحاثه في علم النفس ، بينهما بقوله : ان الايحاء المباشر هو نتيجة مؤثر سمعي فيما ان الايحاء غير المباشر هو نتيجة مؤثر مرئي

اما الايحاء الايجابي والسلبي فيدعو احدهما الآخر ويفرض الواحد منهما وجود الثاني . وما هما ، في الحقيقة ، سوى وسائل توصف بها طبيعة العلاقة ، او النسبة القائمة بين الايحاء وبين البيئة التي يجب ان يتم فيها العمل المقصود من الايحاء . فاذا كان المقصود من التوجيه ، المؤثر الخارجي كان الايحاء ايجابياً . اما اذا

قصد به غير المؤثر الخارجي كان الإيجاء سلبياً . فكل إيجاء سلبى يفرض حتماً وجود إيجاء ايجابى

الإيجاء باللفة : اما الإيجاء كما وصفناه وبينّا أشكاله وأنواعه، فاداته الاولى وقناته الاصلح للغة او التخاطب، سواء بالخط كان ام باللسان . فالكلام هو المؤثر الخارجى الذى يعتمد عليه الموحى او الداعية، قبل كل شيء . وهذه المقاطع والرموز السمعية او المرئية، التى لها مدلول وضعى مقرر، من شأنها ان تكون اداة للإيجاء، وبالتالي صالحة لتثير فينا حالات نفسية : عرضية او مساعدة ان قوة الكلام الإيجائية تقوم بدأً فى مدلولها الاولى او فى معناها المجازى وفى قابليتها على اثارة الحالات السيكولوجية فى الانسان . وهذه القوة تتغير بين منطقة واخرى كما تتغير بنسبة ثقافة المرء .

الإيجاء بالنفوذ : كل حالة اجتماعية من شأنها الإيجاء الى الفرد تحتوى حتماً القوة الإيجائية بالنفوذ . فمن يأتى يتمتع بهذا النفوذ الإيجائى المحرك ؟ والجواب على ذلك سهل اذ ان كل ذى قيمة اجتماعية ايجابية سواء اكان صاحبها امرأ ام مادة، صالح للتأثير بنفوذه . وبالاختصار فكل ذى قيمة اجتماعية ايجابية، له القدرة او الامكانية السيكولوجية على اثارة الحالات النفسية الشديدة التوتر فى اى شعب ماء، عن طريق التصرف او المسلك الانسانى . فهذه المواد او الافراد تتمتع بوصفها قيماً اجتماعية ايجابية، بقوة التأثير من الوجهة الوضعية

ومجمل الكلام حق لنا القول ان كل مادة او شخص له قيمة اجتماعية ايجابية يملك النفوذ اللازم ليصبح مؤثراً خارجياً . وهم يؤثرون فى الغير باثارة حالة نفسية خاصة استيعابية ، وذلك بالنسبة الى ظرف ما . وهكذا يبدو ان القيم الاجتماعية السلبية لا تحدث فى الموحى اليه حالة خاصة لاقبال التأثير

الإيجاء بالتحول الاجتماعى : يأخذ الناس ، عن طريق الإيجاء، بالتبدل والتغير والتحول من حالة الى حالة . وعندما يتبدل مجموع ما من الناس او يتغير فكراً او عقلياً، فالهيئة الاجتماعية التى تتألف من هذا المجموع، تتغير هي ايضاً باكتسابها صوراً جديدة ولبسها قوالب جديدة . وهذا التغير قد يتم بعضه بصورة غير واعية

فالتحولات الاجتماعية العميقة لا تتم مع ذلك الا بصعوبة شديدة، لان كثيراً من الحالات النفسية والمواقف التي يقفها الناس تقوم، في جوهرها، على تلك القيم الاجتماعية الخاضعة لها الهيئة البشرية التي يعيشون ضمنها . وبالوقت نفسه، فوجود هذه القيم الاجتماعية تجعل الذين خبروها اكثر قابلية للانحياز من سواهم . ولهذا بدت كل جماعة او اية جماعة قادرة على الاحتفاظ بدرجة ما من الاستمرار والاستقرار . فالقيم الاجتماعية هي في آن واحد عناصر تؤدي الى المحافظة والى الابقاء على الصور الاساسية الكامنة في الهيئة، كما انها تساعد على استبدال هذه القواب وتغيير هذه الحالات بقواب وحالات جديدة

كلمة الدعاوة : ماهيتها وجوهرها

أولاً : الدعاوة المقصودة : ان تحديد مدلول الاوضاع وتعريف الالفاظ تحديداً فلسفياً عملية بسيطة وصعبة في آن واحد . فهي بسيطة لان الذي يقوم بهذا التعريف يستهدف تحديداً يتفق مع ذوقه وفهمه واغراضه . وهي صعبة شاقة، من جهة اخرى، لانه يجب في التعريف مراعاة مدلول الالفاظ ومفهومها كما اتفق عليه عرف الجماعة . فتحدي العرف الاجتماعي يعرض صاحبه للشطط ويذهب به مذهب الزلل . اذ المراد باللغة الاتصال والافهام . وكل تعريف كيفي غير اجتماعي يحول دون الاتصال المطلوب ويمنع التفاهم المنشود . فاذا شئت ان تتصل بالاذهان عليك اذاً ان تحدد الالفاظ وتعين مدلولها . والا بات محاولتك بالفشل الذريع

فاذا شئنا، والحالة هذه، ان نحدد كلمة «دعاوة او بروبغندا»، هذا الشيء الذي كثر استعماله جداً في الحقبة الاخيرة، علينا ان نضع نصب اعيننا امرين : اولهما ان نزاعي كنه الدعاوة، من الوجهة الاجتماعية، والثاني ان نشير الى الطريقة السيكولوجية التي تنطوي عليها هذه العملية

فالبعض ممن تعرض لتعريف الدعاوة وتحديدها، شدد الوجهة الاجتماعية في هذه العملية بينما وقف غيرهم عند ما تتضمنه هذه الكلمة من الناحية النفسانية

او النفسانية الاجتماعية . فالناحية الاجتماعية تنظر الى الدعاوة كاداة مثلى للمراقبة الاجتماعية او ترى فيها عاملاً خطيراً من عوامل التأثير على الرأي العام والتحكم به . وقد يمزج البعض في تعريف الدعاوة العنصرين معاً، اي ان الدعاوة عنصر مراقبة كما انها طريقة للتوجيه . فاذا مزجنا كل هذه التحديدات وحللنا ما فيها من عناصر وسبكناها معاً تفتحت الدعاوة عن المقومات التالية :

١ : الدعاوة من الوجهة الاجتماعية : فالدعاوة من هذه الناحية طريقة للتحكم الاجتماعي لان الداعية يرمي، فيما يرمي اليه من خلال هذه العملية، الى مراقبة الافراد وتحويلهم فكرياً وتكييفهم . فالدعاوة تستهدف من هذه الناحية الجماعات من وراء الافراد وترمي الى غاية خاصة . يقوم ما فيها من نشاط على عنصر الاستمرار والصبر والاناة وتتضمن فن التعمية والتمويه والتلوين والتزييق والابداع والصرع مع العلم ان الداعية يستعين باللف والدوران والغلو والمراوغة والتضليل والترجيح واللبس والايهام والتفسير والتعمية واللامبالاة بالحقبة

٢ : الدعاوة من الوجهة النفسانية : اما من الوجهة السيكولوجية او النفسانية فالدعاوة تفتتح عن المكونات التالية وتهدف الى :

١ - تغيير الحالات والاعتقادات والتصديقات والتصرف والاراء والافكار والنظر الى الامور والاخذ بها وتعديل الاعطيات السائرة والعواطف والحالات الفكرية
ب - استعمال الايحاء والاقتناع

فالدعاوة، والحالة هذه، هي محاولة منظمة يقوم بها فرد او افراد للتحكم، عن طريق الايحاء، بالحالات النفسانية الكامنة بين الجماهير، وبالتالي التحكم بسلوكها وتصرفاتها

فهذا التعريف الفلسفي الموجز يكشف عما تنطوي عليه الدعاوة، من الوجهة الاجتماعية، من قصد الداعية وجوهر جهوده المنظمة والمنظمة . كذلك هو يبين من الوجهة السيكولوجية، ١ - التأثير على الافراد بالتأثير على حالتهم السيكولوجية . ٢ - التحكم بسلوك هؤلاء الافراد، على قدر ما يساعد هذا التصرف على اتيان اعمال يرغب الداعية في ان يرى الافراد يقومون بها

ثانياً : الدعاوة غير المقصودة : يصرح بعض علماء النفس ان الدعاوة تقوم

كلما واينا شجر نزاع او خصام بين جماعة من الناس . فكل من المتنازعين او المتخاصمين يرمي بوصفه داعية، الى تأليب الانصار حوله واسمالة المحايدين الى حظيرته او معسكره . فكل دعاوة تتجه من نزاع محدود، تقوم على قلب التوازن في المدى العقلي للافراد توصلًا الى افساد التوازن في الهيئة او البيئة الاجتماعية . فدعاوة كهذه تنم طبعاً عن عدم الاستقرار الاجتماعي . فالداعية هنا، لا يهيمه في ان تكون الدعاوة جيدة او رديئة، صحيحة او مغلوطة . فالمهم عنده ان يعرف بماذا تقوم الدعاوة . ولذا وجب عليه ان يتجرد من القوى الاجتماعية المحيطة به وان يتعد بعض البعد عن الحالات التي يعالجها . وكلا النوعين من الدعاوة يشابه الآخر، اذ المقصود اولاً واخيراً التأثير على الجماهير . ولا يختلف احدهما عن الآخر الا بالنظر الى مقاصد الداعية نفسه

الدعاوة والتربية : يسوقنا الكلام عن الدعاوة الى الكلام عن التربية، لما يقوم بين الدعاوة والتربية من علاقات وملابسات وطيدة . فان كان المقصود التحكم بالحالات السيكولوجية في الافراد، عن طريق الايحاء، فالحقل حقل دعاوة وداعية، والنشاط نشاطهما . اما اذا كان المراد التحكم بالافراد والتأثير عليهم بالايحاء او بدونه، فالحقل حقل تربية وتهذيب، بقطع النظر عن نية المربي او قصد المذهب

فاستاذ العلوم الاجتماعية الذي يقود تلاميذه عن طريق العلم الى دراسة الظواهر الاجتماعية ومدارستها هو مذهب ومرب . والاخذ بهذا العلم يتم بمنعزل عن الايحاء . وذلك لاثارة حالات سيكولوجية سابقة او مهيئة . اما المعلم الذي يحاول اقناع تلاميذه ان نظريات عصره الاجتماعية صالحة لكل عصر ومصر فهو داعية وليس بمذهب . فكل المدافع عن الرأسمالية او المدافع عن الشيوعية هو داعية لمذهبه لاعتقاده ان الواحد من هذه المذاهب الاجتماعية يصح علاجاً ناجحاً للمشاكل الاجتماعية . فجوهر التربية يقوم باختصار في الموضوعية على نور الحقائق العلمية السائدة الآن، فيا الدعاوة المقصودة او غير المقصودة هي محاولة للتحكم بالحالات السيكولوجية في الجماهير

ومن هذا النقاش الفلسفي يمكن ان نخرج بالتحديد النهائي للدعاوة .

فالدعابة المقصودة هي محاولة علمية يقوم بها فرد او افراد مغرضون يراد بها التحكم بالحالات النفسية في فرد ما او افراد ما عن طريق الايجاء، وبالتالي، التحكم بتصرفاتهم وسلوكهم واعمالهم

اما الدعابة غير المقصودة فهي مراقبة الحالات النفسية، وبالتالي، مراقبة اعمال الجماعات والافراد عن طريق الايجاء . ففي الحالة الاولى، ان الداعية يعرف الغرض الذي يستهدفه، كما يتبين الوسائل والذرائع الموصلة اليه . ولذا «الدعابة المقصودة» هي محاولة علمية . اما الثانية، اي «الدعابة غير المقصودة»، فان كان الداعية لا يضع لها خطة علمية ينتظم معها عمله للوصول الى اهدافه، فبامكانه مع ذلك ان يراقب وان يتحكم بالوسائل التي تمكنه من الاتصال بالجماعة

وسائل الدعابة وذرائعها المختلفة

والآن بعد ان درسنا مقومات الدعابة واسسها السيكلولوجية والاجتماعية، وانواعها واغراضها التي تستهدف لها، والمدى الذي يتسع لها، علينا ان نستعرض باسهاب الوسائل العديدة والذرائع المختلفة التي يضعها العلم الحديث والفن العصري في خدمة الداعية والدعابة . وهذه الوسائل والذرائع تختلف من حيث طبيعتها وماهيتها كما سترى . وهي كثيرة اهمها الصحافة، والراديو او الاذاعة، والسينما، والتبشيل، والفن، والمنشورات على اختلاف الوانها، والمجلات، والكتب، والتظاهرات، والاشاعات، والثقافة ومجاريها العامة الخ وسنستعرض كلاً منها على حدة

١ - الجرائد او الصحافة : كل يعلم «اليوم» ما للصحافة من شأن خطير على الرأي العام . وهو شأن لا تبلغه اية وسيلة اخرى من وسائل الدعابة . اللهم الا الراديو او الاذاعة . عرف هذه القوة الكامنة في الصحافة كل الجماعات والمؤسسات والمنظمات والاحزاب السياسية . وراح كل منها ينظم دعاوته وينشأ في الجرائد والصحافة . كيف لا، والجرائد هي خير طرق الايصال والاتصال بالرأي العام والتأثير عليه . فالجريدة، بوصفها ذريعة ثقافية او عقلية من ذرائع الدعابة، ليست سوى صدى يرجع او دوي يردد افكار وآراء محيط اجتماعي او بعض هذا المحيط . فكل بيئة او مجتمع او اي جزء منها تقوم فيه جريدة

ما، فهذه البيئة او المجتمع ليسا في حال من الاستقرار قط، لا بل يخضعان دوماً للتحول والتطور . فكل جريدة او اية جريدة لا بد لها ان تهدف، شئت ام أبت، الى التعبير عن وجهة خاصة . ولذا يجب الا يغرب عن البال قط ان الجرائد ليست ردة المحيط الاجتماعي او انعكاسه فحسب، بل هي محاولة لتغيير هذا المحيط وتعديله

فالجرائد اذاً، والحالة هذه، عامل قوي من عوامل التأثير في المجاري الفكرية والاجواء العقلية والثقافية السائدة او المتغلبة في محيط ما . ولما كانت هذه العجالة لا تتسع قط للاستطراد في بحث اهمية الجرائد والصحافة كذريعة من ذرائع الدعاوة، رأينا ان نشير الى هذا الاثر البين بالتنبؤ الى المبادئ العامة او البديهيات التالية التي تركز عليها فعالية الصحافة

١ - كل جريدة تقوم، شئت ام أبت، بدعاوة ما

٢ - كل جريدة، مهما كان شأنها او لونها، تنطوي على قوة تأثير، يجب ان يحسب لها حساب

٣ - كل جريدة تؤثر بمظهرها الخارجي وبمجرد تحضيرها الفني

٤ - كل جريدة تؤثر بالطريقة التي تقرب بها الاخبار او ترونها بها او تعلق عليها، فتلائم بين رواية الاخبار وابداء الاراء

٥ - الراديو او الاذاعة : جدير بنا ان نلاحظ ان الدعاوة، في عصرنا هذا، عرفت كيف تستفيد من عدة اختراعات علمية، سبب العثور عليها ثورة في فن الاعلان والنشر، كما سهّل الاتصال عن طريقها بال جماهير . من تلك الاختراعات الراديو والطائرة والصور المتحركة او السينما التي كان من شأنها جميعاً ان تزيد في سرعة اتصالاتنا

وقد اصبح الراديو في يومنا هذا اكثر ذرائع الدعاوة مدى واشدها اتصالاً بال جماهير وافعلها وقعاً في النفوس . فعن طريق الاذن يتأثر جماهير المستمعين بما يتوالى على مسمعهم من المسليات والملهيات السلبية، باصغاثهم الى الموسيقى الشجية وروائع الادب التمثيلي وعيون الشعر والاخبار والاحاديث السياسية . فيشير ذلك

كله في مكان من النفوس الحالات السيكولوجية المساعدة التي تهيئ المرء للنشاط والعمل . فالناس يصغون الى هذه المنعمات برضى وارتياح ، فتسبح امام الداعية الفرصة المواتية للتأثير على الاذهان والخواطر . وهكذا يبدو لنا ما للراديو من شأن خطير كمحرك سيكولوجي

وقد اخذت الدول تنظر الى الراديو كذريعة مثلى للتأثير بالرأي العام سواء في بلادها ام في غيرها من البلدان، والتحكم به ومراقبته . وعنوا عناية ظاهرة بتنظيم مناهج هذه الاذاعة على كيفية دقيقة مازجين، على قدر مقنن، الموسيقى بالتخاطب على انواعه : كالاخبار والتمثيل والجدل والنقاش والخطب والاعلان وعيون المنتقيات الادبيات، ومناسك العبادة، وكها مادة صالحة امام الداعية، يوجهها برسم الاستهلاك، سواء في بلاده ام في غيرها من البلدان، لمصلحة المستمعين عامة او لمصلحة بعضهم او لبعض الفئات او المناطق او بعض الطبقات . والكلام المذاع هو ايسر طرق الدعاوة واقربها تناولا، كما انه اكثرها قابلية للتأويل والتفسير والتعليق والتلخيص، ولذا اوجبت السلطة التدقيق في استعماله ومراقبته بشدة . ولذا رأينا الدول الاجتماعية تعنى بتنظيم الاذاعة والدعاوة عن طريق الراديو عناية بالغة، مراعية فيها مطلب سياسة الدولة العامة ومقتضياتها الملحة . وهكذا يصبح الكلام المذاع اداة مثلى لترويج اراء الحكومة وبثها في الجماهير

٣ - السينما او الصور المتحركة : أصبحت الاشرطة السينمائية في يومنا هذا من اوقع ادوات الدعاوة العصرية وافعلها في نفوس الناس . وتختلف اساليب الدعاوة هنا عنها في الذرائع الاخرى . فالداعية، كثيراً ما يغلف مقاصده ويواربها ولا يوجهها مباشرة بل بالمواربة او بالواسطة

فالصور المتحركة هي اقوى وسائل الدعاوة أثراً على الفكر واشدها وقعاً على العقول من الكلام مطبوعاً كان ام محكياً . فالمرء بها كان رجعي التفكير عصي التطور، ينطبع بمشاهدة الصور والمناظر المعروضة امامه، اكثر مما ينطبع بقراءة مقال في جريدة او باستماع رسالة او خطاب يلقي عليه . ولذا كان بين النظارة في السينما عدد اكبر من الاولاد والصغار القابلين للايحاء والتأثر به .

وهكذا تبدو لنا السينما اشد ادوات الدعاوة اثراً وافتكها سلاحاً بيد الداعية . فكان لزاماً، والحالة هذه، ان تخضع الحكومات المسؤولة الاشرطة السينائية، للمراقبة الشديدة، فتمنع عن النظارة كل ما من شأنه ان يمس الآداب ويخل بالاخلاق او يفسد الدين والعقائد او يضاد سياسة الحكومة او من شأنه ان يفسد انطباعات الاولاد الصغار

٤ - التمثيل او المسرح : ان ما جاء عن السينما والصور المتحركة ينطبق ، بمعظمه، على التمثيل ، لما يقوم بين هاتين الاداتين اللتين يستعملها الداعية ، من اواصر النسبة وروابط العلاقة والتأثير . كثيراً ما يخرج النظارة من مشاهدة رواية تمثيلية اكثر انفعالاً واشد تأثيراً منهم الى مشاهدة الرواية نفسها في شريط سينائي، لما بين العرضين من اختلاف ظاهر في عوامل الحياة والتشويق، اذ شتان ما بين الاصلي والمصطنع او بين الطبيعي والمزيف وبين الحقيقة والمجاز . ومع ذلك فدور السينما هي اكثر ارتياداً من دور التمثيل لاسباب لا محل لذكرها هنا

٥ - الفن والدعاوة : ومن الذرائع التي تلجأ اليها الدعاوة العصرية، الفن الذي يستجمع الكثير من المميزات الخاصة بهذه الذريعة . ومما لا مرأ فيه ان الدعاوة ليست في الحقيقة الا وجهاً من وجوه الفن، 'مختزاً'، عملياً، في كل فن من الفنون الكبرى او الصغرى : كالتصوير مثلاً او الهندسة البنائية او الموسيقى او النثر او الشعر . يعمل الفنان للفن المجرد، ومع ذلك فعمله لا يخلو ، في صميمه، من دعاوة ولو غير مقصودة . اذا انعمنا النظر في روائع الفن التي انجبها عباقرة المصورين والرسامين ونوابغ المهندسين، في القرون الوسطى او في عصر النهضة العلمية ودور الانبعاث في اوروبة نرى الدعاوة اساساً في الاصل لكل منها، تتغلغل في ما خفي من اسرارها او ما غرض من مقاصدها او ما دق واسترق من غاياتها

اما في العصر الحديث، فقد رأت مقتضيات التجارة والصناعة ان تستعين، على قدر عظيم، بمواهب الفنانين وباستخدام اساليبهم الفنية لترويج المصنوعات والعمل على نفاقها . فكان الفن، في يومنا هذا، دعامة من دعائم الدعاوة موجهاً للشعوب، مهياً لهم لاقتبال رسالة الداعية

٦ - بعض المطبوعات والمنشورات والاعلانات : ومن الوسائل الاخرى التي

يعتمد عليها الداعية لبث دعوته والوصول الى الاغراض التي ينشدها ، ركونه الى بعض النشرات والمطبوعات التي يعتمد الى توزيعها في بعض منعطفات الشوارع والجادات الكبرى او في الساحات العمومية . فهذه المطبوعات وتوزيعها على هذه الصورة ، تدخل ضمن الدعاوة المقصودة . ولما كانت هذه المنشورات مُنشأة ، على الغالب ، بصورة مقتضبة ، كان الغرض الذي تستهدفه يجمع بين الايجاز والاعجاز . وقد عمد الناس كثيراً ، فيما مضى ، الى هذه الوسائل . اما اليوم فقد ضعف الاخذ بهذه الذريعة امام الوسائل الفعالة الاخرى التي استعرضناها في تضاعيف هذا البحث

٧ - المجلات : والمجلات هي ايضاً احدى الوسائل التي يركن اليها الداعية لبث دعواته بين المشتركين بها او بين قرائها . ان ما تدور عليه من الابحاث والدروس وما تحويه من المقالات ، كل ذلك يدخل صراحة ضمن الدعاوة المقصودة ، فتجمع المقالة بين التربية والدعاوة في آن واحد ، اذ تقصد من ناحية الى التهذيب ، ومن الاخرى الى العمل ، فتدعو الى تحقيق الصور التي اثارها المقالات المبثوثة في قرارة النفس او في ممكن العقل . كذلك ان ما تخصه المجلات من نقد بياني ونظرات تحليلية في المؤلفات والمطبوعات الحديثة يكون ، في مجموعه ، عنصراً قوياً من عناصر الدعاوة المستمرة او المتخفية . وهذه المجلات ، اسوة بالجرائد والصحافة ، لها نفوذها او تأثيرها الخاص ، فهي تهيب القارئ والمطالع او المشترك لاقتبال الانطباع المقصود من خلال الدعاوة . ويزداد هذا النفوذ قوة واثراً بازدياد العناية بالمظاهر الخارجية للمجلة والاتقان والترتيب والهندام الخارجي لذلك نرى ان المجلات ، ولاسيما في اميركة ، هي الوسيلة المثلى للاعلان والنشر . فينشرون الاعلان ، بصورة مغرية تستلفت الانتظار وتستجلب الانتباه وتجعل المطالع يهتم به ويعنى بامر عنايته بالمقال الذي استهواه فحواه

٨ - الكتب : لا لزوم للتدليل على اهمية الكتاب واثره الخطير كذريعة

من ذرائع الدعاوة العصرية . كما انه لا وجوب للتصريح بان هذه الوسيلة هي خير الاساليب لاىصال التراث الفكري جيلاً بعد جيل ، كما ان الكتب تحول ، بما لها من نفوذ واثر ، دون رجوعنا القهقري ، الى عصور الظلمة والجهل والبربرية .

ولذا كانت الكتب هي أيضاً خير الوسائل التي تعتمد عليها الدعاوة غير المقصودة للتأثير على الاذهان والقلوب . فبالكتاب تحصل البشرية على شيء من الاستقرار الثقافي والاستمرار العقلي، وذلك بما يحدثه من اثر بالغ في العقول، ولا سيما في عقول الاطفال الغضة بعد قراءتهم له . ان كثيراً مما تدعوه الاكثية الساحقة « تربية » ليس بالحقيقة الا ضرباً من ضروب الدعاوة في نظر الاقلية الواعية او الخبير بعلم النفس الاجتماعي او علماء الاجتماع الذين يحسنون رؤية الظواهر الاجتماعية عن بعد وينفذون الى حقيقة جوهرها

وعلى الاجمال، فالكتب، أسوة بالجرائد والمجلات، تتمتع بتأثير خاص لا ينافسها فيه منازع، يزيد في فعاليتها قوة وقدراً العناية البارزة في مظهرها الخارجي وغلاء قيمة أثارها . واعتبارها اهم مظاهر النتاج العقلي . ولهذا الاسباب مجتمعة خضع القارئ حتماً لمؤثراتها وكان ذهنه لوحاً صافياً تنطبع عليه تلك المؤثرات . فالاغراض التي يتوخاها الداعية في كتاب يضعه والاهداف التي ينشدها من نشره قد يكشف هو نفسه عنها او يترك كشفها للمصادر والمراجع التي يركن اليها لتدعيم آرائه . وقد يوارى الى آخر الكتاب فيكشف عنها فجأة، أو انه يبقئها خفية مستترة عندما لا ينوي سوى تقوية الحالات السيكولوجية في القارئ او اضعافها . ان دعاوة كهذه لشديدة الاثر ولا سيما على عقول الاطفال والصغار الذين اعتادوا ان ينظروا الى الكتب نظرهم الى رفاق واقربان تنضح بالحقيقة المجردة، ولا تنطق الا بالصدق

٩ - الاجتماعات العامة وما يرافقها من الخطب : ان هذا النوع من انواع الدعاوة العصرية واساليبها المختلفة قد ضعف جداً باختراع الراديو والاذاعة، ومع ذلك نرى بعض الدعاة يلجأون اليه في بعض الحالات، اذ ان المثير او المحرك الكامن في صوت الخطيب اشد فعالية من المثير المحرك في الراديو . كيف لا والناس، في هذه الاجتماعات، يؤخذون ليس فقط بصوت الخطيب بل ايضاً بالايماء وبما يقوم به من اشارات وحركات وايماء، وفي ذلك كله ما فيه من قوة الايماء، فيما ان المذيع لا يسمعك الا الصوت ونبراته . فينتج من ذلك كله سلسلة من الحالات السيكولوجية يأخذ بعضها برقاب البعض، الغرض منها اثارة ادارة حالات نفسانية سلبية وتهيؤ للانطباعات

١٠- الاشاعات : ومن الوسائل التي يعتمد عليها الداعية أيضاً الاشاعات التي يطلقها في البيئة او المحيط الاجتماعي، توصلاً للتأثير بها على الاخلاق او على الساوک الانساني . ويدخل ضمن هذه الاشاعات همسات وقصص وحكايات واخبار مختلفة، المقصود منها التأثير على الاعصاب . اما وجه العمل في هذه الشائعات فهو انها تؤثر من الوجهة السيكولوجية لان الذي يطلقها يتمتع ببعض النفوذ الاجتماعي، فيثير في النفوس، بمجرد ثقة الغير به، حالات نفسانية قابلة . ومدى هذه الحالات الطارئة يتوقف من حيث انكماشه او انبساطه، على وجود حالات نفسانية سابقة تساعد الفرد على الخروج من الجمود الى الحركة الايجابية . ومختصر القول ان الشائعات تلاقي من اقبال الناس على تلقفها والتأثر بها اكثر مما تصادفه بعض الذرائع الاخرى الموسومة بطابع الدعاوة الصريحة او المباشرة

١١- التظاهرات والعراضات الشعبية : نقصد بالتظاهرات تلك الظواهر الاجتماعية الاجماعية التي تقوم بها بعض الجماعات البشرية للاعراب عما يخالجهما من عاطفة، بين تحييد او تقبيح، للتدليل على اتجاه الرأي العام ممثلاً للسواد الاعظم من الجماهير الشعبية . فالشعب، وقد لفتت نظره هذه الحركة الاجماعية وما تعرب عنه من احساس وهزات نفسية ومجاري فكرية او عاطفية، يدخل التيار الجارف مأخوذاً باحتياج حالات نفسية مساعدة، تبعث فيه الحماسة والنشاط والعمل، على التجنيد مثلاً، او على الاكتتاب او على الانخراط في عصبة او حزب، وهي اعمال لم يكن ليقوم بها الفرد لو لم تعثره هزة الانفعال

هذه هي اهم الذرائع والادوات المختلفة التي تستعملها الدعاوة العصرية للوصول الى الاهداف التي تترسمها للتأثير على الافراد والجماعات، ولحلمها على التصرف وفقاً لمساق عام سبق وضعه بكل عناية . وقد يستعملها الداعية كلها كما يستعمل بعضها لتحقيق اغراضه

بعض وجهه الدعاوة في البلدان العربية

قبل ان نختتم هذا البحث رأينا ان نشير بايجاز الى بعض ما يجب ان تتناوله الدعاوة في البلدان العربية لتأتي اداة صالحة لتقوية روح الجامعة العربية وبث مبادئ هذا الميثاق بين طبقات الامة العربية في مختلف الحكومات التي تتألف من هذا الميثاق . ولعل من ابرز هذه الحاجات هو التعاون الثقافي بين هذه الحكومات والعمل معاً على وضع مناهج ثقافية تقوم على اسس موحدة، وان اختلفت قدرأً وحدداً بين بلد وآخر، هذه البلدان التي تجمعها اصرة اللغة ووحدة الثقافة ووعي قومي واحد واجداد قومية مشتركة وتراث تاريخي واحد ورفعة جغرافية واحدة في طبيعة مناخها، الى غير ذلك من المقومات . وقد أبنا ذلك في المقترحات التالية :

- ١ - وضع جوائز ادبية تشجيعاً للنهضة العلمية والفنية ولحركة التأليف والترجمة والنشر
- ٢ - وضع مصطلحات علمية مشتركة ليأتي التعبير عن الحقائق العلمية واحداً في مفرداته
- ٣ - اقامة اعياد قومية مشتركة تهدف الى تمجيد نوابع الامة العربية تشترك في احيائها الشعوب العربية على اختلافها
- ٤ - تبادل المعلمين والاساتذة بين مختلف هذه البلدان
- ٥ - تنظيم رحلات علمية وبعثات ثقافية بين هذه البلدان على اختلافها
- ٦ - انشاء مكتبات عامة في معظم هذه البلدان والاكثار منها لاسيا في المدارس والمعاهد الكبرى وفي القواعد والحواضر الرئيسية
- ٧ - وضع اسس موحدة مشتركة تكون دستوراً لفن تنظيم هذه المكتبات
- ٨ - وضع فهرس عام مشترك للمخطوطات العربية الموجودة في الخزائن العامة او الخاصة القائمة ضمن هذه البلدان
- ٩ - انشاء مدرسة لتخريج ابناء المكتبات العربية يكون فرعاً من فروع

الجامعة المصرية، لان مصر اكفأ البلدان العربية علمياً ومالياً للنهوض بمثل هذا المشروع، بوضع منهاجها بصورة علمية ويوحى به من موضوعات الثقافة العربية وحاجاتها الثقافية

١٠ - تنظيم مؤتمرات دورية لامناء المكتبات في الشرق العربي اسوة بمؤتمرات الاطباء والمحامين والمهندسين

١١ - تنظيم سلاسل من المحاضرات الدورية، كل سنة لدرس ناحية مشتركة او خاصة من نواحي تاريخ هذه البلدان، وبحث مشاكلها العلمية والثقافية وقضاياها الاقتصادية والمالية والاجتماعية والتطورية

١٢ - انشاء مجلة دورية تكون صلة فكرية بين هذه الدول تصدرها الامانة العامة للجامعة العربية

١٣ - وضع فهراس عامة لتقريب متناول اصول الثقافة العربية، القديمة منها والحديثة

١٤ - السعي المشترك لوضع دائرة معارف العلوم العربية وتنظيم هذا العمل الجبار ووضع اسسه للنهوض به واخراجه الى حيز الوجود

١٥ - وضع معجم جغرافي تاريخي للبلدان العربية قديمها وحديثها

١٦ - مراقبة اخراج الافلام العربية والمسرح العربي تراعى في كلا الاشرطة والروايات حقائق القومية العربية ودرجة الوعي القومي وعاداتها واخلاقها

١٧ - وضع فهراس تتعلق بنظم التربية والتعليم في البلدان العربية وتفاعلها المشترك بعضها ببعض، وبينها وبين البلدان الغربية

١٨ - انشاء لجنة ثقافية مشتركة للنظر في نقل المؤلفات العربية الى اللغة العربية مما تشدد حاجتنا الى بعضه، نهوضاً بثقافتنا العربية وحملها على اللحاق بالثقافة الغربية

١٩ - انشاء لجنة تعنى بمراقبة مناهج التعليم في كل من البلدان العربية والسعي لوضع كتب مدرسية تراعى فيها اتجاهات الوعي القومي العربي والبعث الروحي في هذه الامم

٢٠ - عرض رسوم فنية لروائع الآثار التاريخية العربية، وذلك في الماجريات

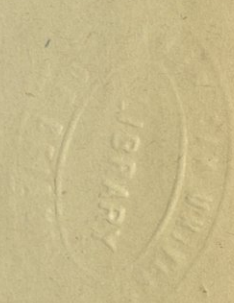
التمهيدية السابقة لعرض الاشرطة السينمائية

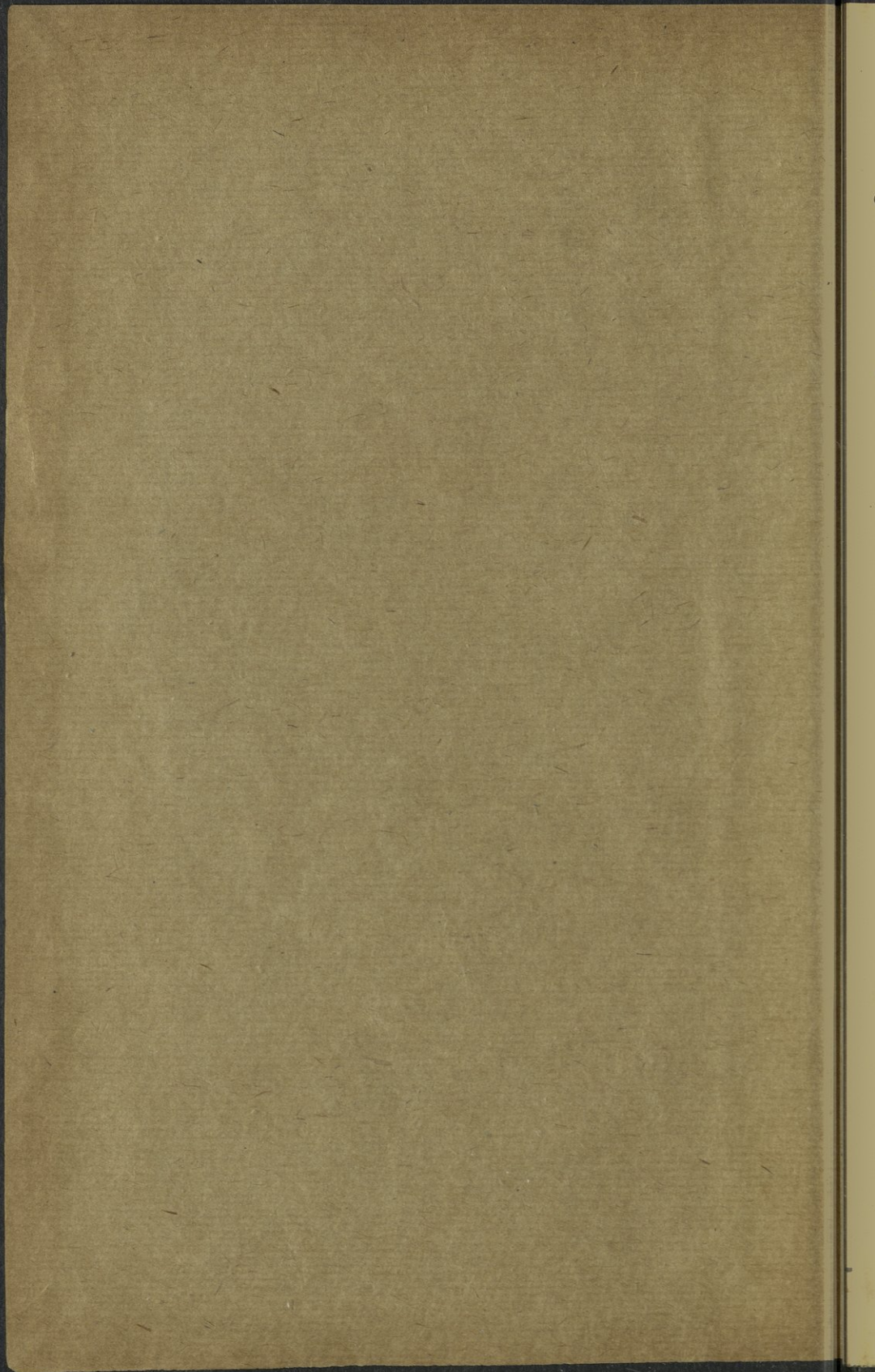
٢١ - صنع بطاقات بريدية تحمل آثار او رسوم بعض الشخصيات البارزة في التاريخ

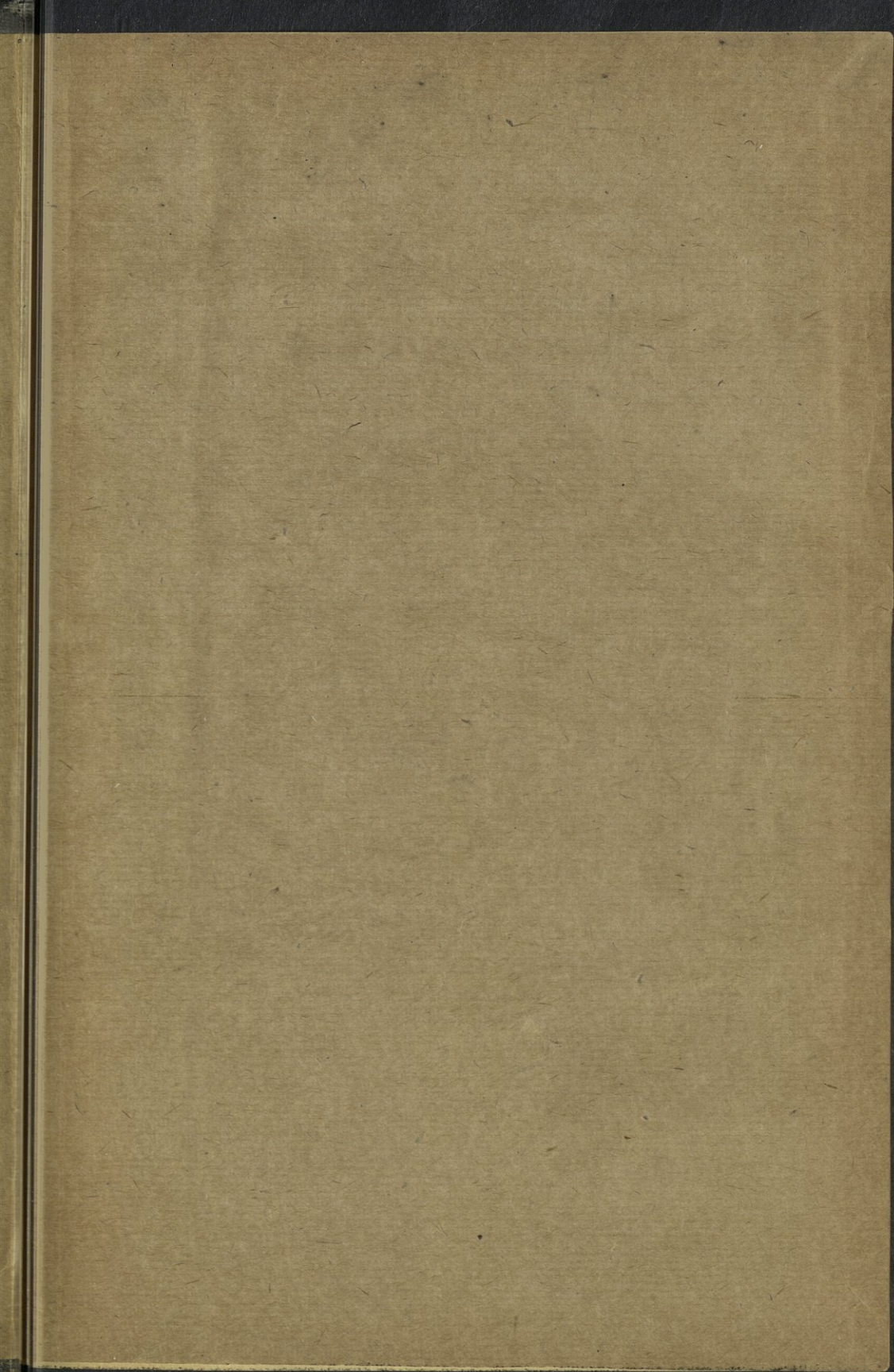
٢٢ - انشاء شركة انباء عربية برأس مال قوي يكون لها فروع في كل من عواصم البلدان البلدان العربية وحواضرها الرئيسية

هذا بعض ما عنّا لنا ذكره في هذه العجالة من الامور التي يجب ان تكون موضوع عناية الدعاوة في الشرق العربي، تاركين امر التوسع بها وبعيها من هذه الموضوعات لمناسبة اخرى، وفقنا الله الى ما فيه خير البلاد واسعاد العباد واخذ بيد القائمين على لمّ الشعث وجمع الكلمة وبعث التراث الادبي والخلقي والعلمي لهذه الامة المباركة

بيروت في ١ نيسان ١٩٤٦







301.15:D12dA:c.1

داغر، يوسف أسعد

الدعابة والنشر في بيروت

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01009766

American University of Beirut



301.15

D12dA

General Library

301.15
D12dA
C.I